تقنيات الحجاج وأبعاده لنماذج مختارة من الشعر

أ.م.د. فائزة محمد المشهداني
جامعة الموصل ـ كلية التربية الأساسية ـ قسم اللغة العربية
faizam@uomosu.edu.iq

The Techniques of Argumentation and Its Dimensions for Selected Examples of Poetry

Assist. Prof. Dr. Faiza Mohammed Al-Mashhadani
College of Basic Education – Dept. of -University of Mosul
Arabic Language

تم استلام البحث بتأريخ ٢٠٢٣/٥/٢٩
تم قبول نشر البحث بتأريخ ٢٠٢٣/٧/٤

الملخّص:

لابد لأي دارس للتقنيات التي يقوم عليها الحجاج من النظر في منطلقات هذه النظرية التي قامت على المقولة الشائعة التي مؤداها (أننا نتكلم عادة بقصد التأثير) وبهذا الصدد نجد أن أغلب المعاجم العربية قد حددت دلالة الحجاج، ومنهم من توسع في هذا المعنى ومنهم من اقتصد فيه, فالحجاج لا يخرج في معناه من أنه القصد، إذ يقول ابن فارس ت(٣٩٥ه) بهذا الصدد إن الحجاج أو " الحجة مشتقة من هذا, لأنها تقصد, أو ما يقصد الحق المطلوب"(١) ومن خلال الواقع المعاش نشهد أهمية هذه النظرية التي ارتبطت بمجالات الحياة كافة، وتستند نظرية الحجاج الى مرجعيات فلسفية ولغوية ولها بُعد تداولي. والذي يهمنا من هذه النظرية كيفية اشتغال الجانب اللغوي من الابداع الشعري، وسنعمد الى استجلاء أهم الأسس النظرية التي يقوم عليها الحجاج، فضلاً عن علاقة الحجاج بمصطلحات أخرى قد تبدو للوهلة الأولى مرادفة له على نحو ما نجده في البرهنة والاستدلال والاقناع، هذا الى جانب تسليط الضوء على أهمية تقنيات الحجاج وآلاته في عدد من النماذج لشعراء محدثين وظفوا الجانب الحجاجي في إبداعهم الشعري.

الكلمات الافتتاحية:

Abstract:

Any student of the techniques underlying the argumentation must consider the principles of this theory, which is based on the common saying that it means (we speak ordinary with the intention of influence), in this regard, we find that most of the Arabic dictionaries have defined the meaning of argumentation, some of them expanded on this meaning, and some of them were narrowed down in meaning. The argumentation does not deviate from its meaning that it is the intent, as Ibn Faris (d. 395 AH) says in this regard that the argumentation or “the argument is derived from this, because it means, or what is intended, the required truth.” (1) through lived reality, we notice the importance of this theory, which was associated with all fields of life, this theory is one of the modern theories that are based on philosophical and linguistic references and has a deliberative dimension on the other hand. What concerns us from this theory is how the linguistic aspect of poetic creativity operates, and we will seek to clarify the most important

theoretical foundations on which the argumentation is based, as well as the relationship of the argumentation with other terms, at first glance, it may seem that it is synonymous with them, as we find in proof, reasoning, and persuasion, in addition to focusing on the argumentation techniques and tools, with regard to some examples of modern poets who used the argumentative side in their poetic creativity.

Key words:

الحجاج ومصطلحات أخرى

كما سبق أن ذكرنا فإن الحجاج قد اقترن بمصطلحات أخرى تداخلت معه، وسنحاول أن نعرض بإيجاز لهذه المصطلحات.

أولاً: الحجاج والإقناع

يشترط الحجاج وجود طرفين متخاطبين، يحاول كل واحد منهما إبراز حججه والتأثير في سامعه، فالحجاج "يقوم على جمع الحجج لإثبات رأي أو إبطاله والمحاجة طريقة تقديم الحجج والإفادة منها". (١)

أما الاقناع فهو ما يعتمده الحجاج, ووفقاً لذلك يمكن عده بأنه إجراء يرمي من خلاله شخص ما حمل المخاطب على تبني موقف معين عبر اللجوء الى حجج تستهدف إبراز صحة هذا الموقف أو صحة أسسه, من هنا يعد الحجاج عملية هدفها إقناع الآخر والتأثير فيه ووسيلتها الحجج (٢) وهذا يعني ان الحجاج يعتمد في ألياته على الاقناع، فلا يمكن الفصل بينهما، وإذا حاولنا فعل ذلك فعلينا أولاً أن ننظر الى طبيعة الحجج المعتمدة، ذلك أن الحجاج "عملية اتصالية, تعتمد الحجة المنطقية بالأساس وسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم" (٣) ولابد من النظر ثانياً الى طبيعة المتلقي وكذلك طبيعة الخطاب الحجاجي، وتعتمد طبيعة الخطاب الحجاجي على نوعية الكلام, فان كان المتكلم يخبر المتلقي بكلام جديد فيه من المنطق, فهو يُقنع, أما إن كان المتلقي أصلاً رافضاً أو منكراً للخطاب فسيتحول الخطاب من إقناعي إلى حجاجي, لأن المتلقي متى سلَّم بالمقدمات التي عرضها المتكلم, فهو مقتنع من طرفه, ومتى ردها أو رفضها فهو محاجج.

ثانياً: الحجاج والاستدلال

الحجاج والاستدلال كل منهما يؤدي الى الآخر, فلابد للحجاج من أدلة يستدل بها، فكل خطاب مهما كان نمطه لابد له في الأخير من اعتماد نمط من الاستدلال "والسبب في ذلك أن خطاب حال في اللغة تمنحه هذه الأخيرة العناصر الأولية والقاعدية لكل حجاج, أي عناصر الاستدلال والتدليل"(٤) ولابد من التمييز بين نوعين من الاستدلال: يقيني قطعي، وهو يمثل البرهان, وظني غير يقيني وهو يمثل الحجاج, من هنا نستنتج أن الحجاج لا يكون فيما هو يقيني أو إلزامي فنحن لا نحاجج في أمر مأخوذ على أنه حقيقة يقينية راسخة كالحقائق الرياضية مثلاً، وإنما يكون الحجاج كما يقول (بيرلمان) فيما هو مرجح وممكن ومحتمل, وما دام الحجاج يبرز في ما هو مرجح ومحتمل, فلابد من اتخاذ الإجراءات اللغوية التي تجعل من المحتمل شيئاً مقنعاً (٥).

ثالثاً: الحجاج والبرهنة

يمكن القول إن البرهنة "استنباط يهدف الى الاستدلال على صدقية النتيجة أو احتماليتها للاحتساب , وذلك انطلاقاً من المقدمات المعبرة صادقةً أو محتملة" (٦) وهي عملية تخضع للعقل أي إنها عملية عقلية تُثبت استدلالياً (استنتاجياً), فهذا يعني أن يكون هناك تسلسل من خلال ربط

قضية بقضايا أخرى بديهية بحيث تنتظم القضايا جميعاً في كل متماسك بواسطة رابطة ضرورية [٧] فالحجاج ينهض على الحجج المقدمة فهو "تقديم الحجج والادلة المؤدية الى نتيجة معينة, وهو يتمثل في إيجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب, وبعبارة أخرى, يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال, بعض هو بمثابة الحجج اللغوية, وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها". إن العلاقة التفاعلية بين مصطلح الحجاج والمصطلحات الاخرى جعلتنا نفضي الى تقديم هذه المصطلحات قبل أن نحاول تطبيق ذلك على الشعر العربي الحديث، فالعلاقة بين الاستدلال والبرهنة والإقناع علاقة وطيدة، إذ تتداخل هذه المصطلحات مع الحجاج في جانبين: الجانب الأول تبرز فيه هذه المصطلحات على أنها تمثل جودة الحجاج. أما الجانب الثاني فتعرف سمات النص الحجاجي بهذه المصطلحات، وذلك بالنظر الى المتكلم أهو يستدل؟ أم يبرهن؟، أم إنه يقنع؟[٨] ، من هنا لابد من الوقوف عند سمات النص الحجاجي.

سمات النص الحجاجي

يستشف من العلاقة بين الحجاج والمصطلحات الأخرى المذكورة أنفاً سمات يتميز بها النص الحجاجي :[٩]

١_ القصد المعلن: معناه البحث عن إحداث أثر ما في المتلقي، إي إقناعه بفكرة معينة، وهو ما يعبر عنه اللسانيون بالوظيفة الإيحائية (conative) للكلام وقد أدرك رجال الإشهار(الاعلان) أهمية هذا الأخير، فعملوا على استغلال هذا الشكل الناجح من أشكال التواصل.

٢_ التناغم: فالنص الحجاجي نص يستدل عليه، لذلك يقوم على منطق ما في كل مراحله، ويوظف على نحو دقيق التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواء تعلت الآخر بالفتنة أو الانفعال، أو إحداث مجرد تقدم، وهو يدل من هذا الوجه عن ذكاء صاحبه، ويشي بمعرفته الدقيقة بنفسية المتلقي، لذلك نراه يعلن أمراً ويذكر آخر يختزل فكرة؛ ويسهب في تحليل أخرى، يسأل ويجيب بل قد يأتي بالفكرة الواحدة على انحاء مختلفة، فيتجلى في نصه سحر البيان، وتتأكد فتنة الكلام.

٣_ الاستدلال: وهو سياقه العقلي أي تطوره المنطقي، ذلك أن النص الحجاجي نص قائم على البرهنة، فيكون نظامه قائم على نظام معين تترابط فيه العناصر على وفق نسق تفاعلي ترمي جميعها إلى غاية مشتركة.

٤- إليها ترد الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مروراً بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وصولاً الى الطف فكرة وأنفذها.

بعد ما قدمناه من كلام عن الحجاج وأهدافه يتبين لنا أن من أهم الأهداف هو التأثير في المتلقي ومن ثَمَّ إقناعه، من هنا يرتكز الخطاب في الحجاج على تقنيات تتسم بالمرونة بحسب توظيف المرسل لها، وينتقي حججه وطريقة بنائها بما يتناسب مع السياق، وبما أننا بصدد الحديث عن السياق الشعري يمكننا القول إن الشاعر يعمد من خلال أدواته الحجاجية المتمثلة في أدوات لغوية وصرفية والفاظ تعليلية، فضلاً عن توظيف الأليات البلاغية مثل تقسيم الكل الى أجزائه والفنون البيانية، كذلك الأليات شبه المنطقية، وتتمثل بالسلم الحجاجي بآلياته وأدواته

اللغوية، إذ يرتب الشاعر (المرسل) حججه التي يجد أنها تتمتع بالقوة بحيث تدعم شعره، وللسلم الحجاجي وسائل لغوية تتجسد بالروابط الحجاجية منها (لكن، حتى، فضلاً عن، ليس كذا، فحسب، أدوات التوكيد) ودرجات التوكيد والكثير من التقنيات التي يستخدمها الشاعر لغرض اقناع متلقيه.

سنحاول من خلال النماذج الشعرية المختارة إبراز أهمية الوسائل والأدوات اللغوية التي يجسد بها الشاعر وظيفته الإقناع في الخطاب الشعري، وكما لهُ من تأثير بإقناع المرسل إليه والحياد عن رأيه قضايا يعتقدها ويؤمن بها [١٠]

وسنشرع بقصيدة للشاعر محمود درويش عنوانها (نسر على ارتفاع منخفض) [١١]

إذ تتجلى في هذه القصيدة التقانات الحجاجية وأبعاد الحجاج من خلال ما جاء من سياق شعري يقول الشاعر:

قال المسافرُ في القصيدة
للمسافرِ في القصيدة:
كم تبقى من طريقكَ؟
كلُّهُ
فاذهبْ إذاً، واذهبْ .....
من أنتَ؟ ما أسمك؟
لا اسمَ لي في رحلتي
أأراك ثانية
نعم في قمتي جبلين بينهما
صدى عالٍ وهاويةُ ... أراك
وكيف نقفزُ فوق هاوية
ولسنا طائرين؟ .....
ثم ماذا؟
ثم تسألني وأسألُ
كم تبقى من طريقك
من يرانا لا نراه
ومن نراه لا يرانا

ثم ماذا نجد في هذا النص أن الشاعر قد قصد هذه المحاججة وكأنه يريد أن يثبت من خلال ذلك أن حجته قوية، وأنه قادر على اقناع الطرف الثاني، إذ جاءت الابيات بطابع سردي حكائي عن اسلوب المخاطبة بين اثنين بصيغ سؤال وجواب، كما كثرت أدوات الاستفهام (كم، من، ما،

الهمزة، كيف، ماذا ...) كأن الشاعر يستفهم مُتسائلاً باحثاً عن الاجابة وقد وفق في الجانب الاستفهامي الحجاجي.

(كم تبقى من طريقك؟) فتأتي الإجابة من الطرف الآخر محاججاً اياه وقائلاً لفظة (كُله) لتؤكد أن الطريق طويل، وانه قد لا يصل بدلالة تكرار (كم تبقى من طريقك؟) ونجد أن الأدوات اللغوية عند شاعرنا تؤكد احتجاجه، فتوظيفها عزز الجانب الحجاجي عنده، وهذا ما تمثل بوفرة وتكرار حروف العطف (و، ف، ثم) فهو يريد ان يقنع الطرف الثاني (ثم ماذا، ثم تسألني وأسألُ)، إذ يكرر الشاعر السؤال (تسألني وأسأل) يتكرر الحوار ثم تتكرر اللازمة التي بدأ بها في أول القصيدة (كم تبقى من طريقك) وكأن الشاعر ما بدأ به من استفهام يؤكد حقيقة أن الأمر له يتغير، وكأنه لم يحقق نتيجة من استفهاماته، فيحاول أن يجدد التساؤلات ليصل الى الجواب المقنع عبر الحجج التي تبناها، إذ يتسم سؤال(المخاطِب للمخاطَب) (أراك ثانية) يريد رؤيته فيجيب بتساؤل (وكيف نقفز فوق هاوية) و(لسنا طائرين؟) التساؤل ها هنا فيه انزياح، اذ أن القفز سيكون الى الهاوية، وهذا لن ولن يكون، فقد عمل الاستفهام الحجاجي ب(كيف) على تقييد المعنى والحد منه ووضع المتلقي أمام حقيقة مفزعة وهي انه لن ولن يقفز الى الهاوية، اذ جاءت كيف لتؤكد المنع ولتضع حقيقة ثابتة كيف نقفز ونحن (لسنا طائرين).

فالنص الشعري بُني في اساسه على المحاججة بين الطرفين ومحاولة وضع حد للوضع الراهن بدلالة قوله(من يرانا لا نراه) (ومن نراه لا يرانا) (ثم ماذا) يعود الشاعر للتساؤل عن حقيقة هذا الحوار الدائر وما سيؤول اليه الوضع (ثم ماذا) والتكرار للعطف مع مَن الاستفهامية جعل المخاطبة بين الطرفين في وضع محرج على الرغم من محاولة اقناع الطرف الأول للطرف الثاني بشتى الوسائل، فقد حاول من خلال الادوات الحجاجية أن يبرهن للطرف الثاني بأن ما تبقى من طريقك يعود لك (ثم تسألني وأسألُ) فالحجاج مازال قائماً بين الطرفين، إذ حاولنا ان نبين من خلال السياق الشعري السابق أن الشاعر قد حاجج الطرف الثاني وكان هو الطرف الأول في المحاججة من خلال الأدوات اللغوية القائمة في معظمها على الاستفهام، فكان الاستفهام الأداة الرئيسة في هذا الحجاج.

بعد وقفتنا عند قصيدة (نسر على ارتفاع منخفض) للشاعر محمود درويش سيكون لنا وقفة مع قصيدة (الرسم على عباءة الريح) للشاعر جاسم محمد جاسم، وهنا الحجاج سيكون مغايرا لما جاء عند الشاعر محمود درويش، لأن الشاعر في هذه القصيدة يفخر بمقدرته الجبارة على نظم الشعر، فيبتدئ قصيدته

تقاسماكِ الصمتان: ستر وكاتمة

كأن ندى الشعر شحت مباسخه (١٢)

إذ نجد أن الشاعر يبدأ قصيدته بالخطاب الحجاجي مقيم الحجة على أن من كان صفته الطراوة والنداوة في نظم الشعر، سيبقى دائماً على ذلك ليعقبها بقوله .(١٣)

قوافيك اشلاء وحزنك دولة

ومجرك مظلوم وصمتك ظالمه

إذ جعل الشاعر من القوافي عبارة عن اشلاء ممزقة نتيجة الحزن المسيطر على وطنه، فهو على الرغم من كل هذا الحزن الا ان الشاعر يحتج على نفسه وعلى وطنه فالقوافي عبارة عن اشلاء، وكل هذا سببه (صمتك ظالمه) وكأنه بهذا الاحتجاج على ذاته وعلى وطنه يؤكد بان صمته هو السبب في تحقيق هذا الظلم الجاثم على انفاس وطنه، فالشاعر دائم التساؤل فهو يقول:

فما لإمبراطور الفصول مسافر

تطارده دولاته وعواصمه (١٤)

ومن حرض الصحراء تنهش عشبه

أبينا أن نقر الذل فيناوكن حُبالى بالبذار مواسمه

فهذا الاحتجاج من الشاعر جاء من خلال الاستفهام(فما لإمبراطور) (ومن حرض) وكأنه يريد أن يقول أن الثورة يجب أن تكون من داخلنا فهذه الصحراء القاحلة المتمثلة بالظلم قد نهشت عشبه، فقد شبه الشاعر الصحراء بحيوان مفترس ينهش فريسته(عشبه) وقد حاول الشاعر ان يمزج بين صورتين بلاغيتين الصحراء التي تنهش العشب بعد ان كانت(كن حبالى بالبذار مواسمه) صورة استعارية تؤكد وتبرهن للمتلقي بأن الخير كان هنا بدلالة قوله(كُنَّ) ليعاود في السياق اللاحق مؤكداً هذه الحقيقة ويبرهن محتجاً على ما كان وما صار .(١٥)

وكنّا رغيف الشمس عن كف حرفه

نجوع وفيما بيننا نتقاسمه

فالدلالة الماضية للفعل(كنَّا) التي تؤكد الماضي التليد لهذا الوطن الجريح، لكنه على الرغم من ذلك إلا اننا لن ولم نجوع لأننا عندما نجوع نتشارك فيما بيننا بدلالة قوله(نتقاسمه) فالشاعر يحاول ان يستدل من خلال ما كان بما سيأتي، ليعود مرة ثانية الى ذاته محتجاً عليها

الا أيها الممتد من ألف شاعر ويا منتهى من لا تجيء خواتمه (١٦)

إذ نجد الشاعر ها هنا يبدأ خطابه الحجاجي ب(الا أيها) للدلالة على الاعتزاز بالنفس، إذ جعل النداء من ادواته الحجاجية على ذاته ويكرر في هذا البيت ليعزز هذا المعنى (ويا منتهى)

وكأنه يريد أن يقول لنا بانه ومن خلال التركيز على النداء يقوي المعنى الاحتجاجي في داخله، فهنا هو يعاود مرة اخرى من خلال ذلك

ويا راسماً بالرمل أيام عمره إلام تزيل الريحُ ما انت راسمه (١٧)

فهو يحتج على ذاته بنداء خطابي يوضح حزنه وكيف انه يرسم ايام عمره المتلاشية كتلاشي الرسم على الرمل ليصل الشاعر الى الذروة من خلال الابيات الأتية:

إذا لم يكن شعري بحجم حرائقي فليس اسمه شعري ولا أنا جاسمه (١٨)

ولا في سماواتي دروبٌ لطيره ولا من ضلوعي الحانيات سلالمه

فالتقانات الحجاجية ها هنا تمثلت كما سبق أن ذكرنا احتجاج الشاعر على ذاته ولكن كيف يكون هذا الاحتجاج الا من خلال الادوات اللغوية المساندة لخطابه الاحتجاجي فهو يستخدم النفي مرة والاثبات مرة والاستفهام مرة ثانية ليؤكد انه على الرغم من احتجاجه هذا واستفهاماته المتكررة

أأدخل مثل اللص، أبتزُ برعماً فكيف إذا ثارت على براعمه (١٩)

فها هو يعود الى الاستفهام وكأنه يريد ان يقول ان ذاته ما تزال تعاني من وطأة الاوضاع الجاثمة على انفاسه.

وتكرار صيغ الاستفهام في ابيات الشاعر وطرح الأسئلة تعد وسيلة مهمة من وسائل الإثارة التي يستعملها الشاعر للسيطرة على ذهن المتلقي ودفعه لإعلان موقفه إزاء المشكل المطروح وهو طلبُ حصول في الذهن والمطلوب حصوله في الذهن، إفا أن يكون شيء أو لا يكون (٢٠) فالاستفهام في الخطاب الحجاجي لا يرجى منه الإجابة عن السؤال، بل إن دلالته تخرج الى دلالة أخرى يؤكدها السياق ككل وهو الاحتجاج على الذات.

يمكننا القول من خلال هذه الابيات أن الشاعر في هذا السياق اثبت من خلال شعره بانه سيقاتل بالكلمة وسيبقى محتجاً الى ان يجد سبيله .(٢١)

سأتركه مثل الحصان بداخلي

يعيش كما يهوى وما أن لا حجهْ

وقد يلجأ الشاعر الى نمط معين من الاحتجاج من خلال ادوات جديدة يحاول من خلالها أن يثبت

لنفسه قبل الاخرين بأنه محتج على ذاته وهذا ما نجده من خلال اسلوب النفاذ والتوازي ففي قوله (٢٢)

يقاسمني أكلي وشربي ورقدتي

ولست بغير الموجعات أقاسمه

فها هو يتقاسم الأكل والشرب والراحة(رقدتي) ومع من انه يتقاسم مع الطرف الموازي له (يقاسمني، اقاسمه) ولكن ماذا يتقاسم انه يتقاسم (الموجعات) فالتوازي بين صدر البيت وعجزه ولد نوعاً من الاحتجاج الذاتي، لكنه احتجاج مقاسمة وان كانت هذه القسمة غير عادلة وبعد هذا الاحتجاج يختتم الشاعر قصيدته ببيت شعري بغاية الجمال، إذ إنه يحمل في طياته خطاباً احتجاجياً، اذ يجعل الصمت هو الطرف المحاجج لذاته

لكن رأيت الصمت أولى بشاعر

إذا لم يهز الكون ما هو ناظمه (٢٣)

فهنا الصمت يعبر عن اصوات الشاعر وحجته على ذاته, فان لم يكن الصوت الشعري عنده يهز الكون والعالم فانه يفضل الصمت بعد هذه الوقفة نقول أن أهم شيء تأسس عليه الحجاج هو وجود الاختلاف بين المرسل للرسالة اللغوية أي مكان الجنس الفني الذي تنتمي اليه الرسالة وبين المتلقي لها فهي محاولة من الطرف الاول إقناع الطرف الثاني بوجهة نظره فشاعرنا هنا وان كان محتجا على ذاته لكنه حاول من خلال احتجاجه هذا أن يقنع المتلقي باحتجاجه، بل أنه برهن له بالأدلة أنه على صواب وأنه أعطى للنص الحجاجي أبعادا واسعة انفتح عليها النص.

بعد هذه الوقفة عند شاعرنا في قصيدته الرسم على عباءة الريح لنقف عند شاعر حديث آخر في قصيدة جديدة لنبين الآليات التي يستخدمها الشاعر في حجاجه متخذا من ذلك أبعادا جديدة للحجاج، وقد حاولنا ان نأخذ نماذج مختلفة لشعراء يتميزون بالاختلاف، ففي قصيدة (ما لم تقله رزقاء اليمامة) للشاعر السوداني محمد عبدالباري، إذ اتخذ الشاعر اسلوباً جديداً في احتجاجه فيقول :(٢٤)

شيء يطل الآن من هذي الذرى

احتاج دمع الانبياء لكي أرى

يستهل الشاعر قصيدته بالتفكير المنطقي (شيء) فهذا الشيء امر غير معروف له ولا لغيره انه (يطل) أي يظهر وهي إشارة للفظةذ (الطلل) لكن هذا الطلل يحتاج لشيء خارق إنه يحتاج (دمع الانبياء) يعود ليؤكد رؤيته ليبدأ احتجاجه في البيت الذي يليه قائلاً

النص للعراف والتأويل لي

يتشاكسان هناك قال, فسرا

فهو يذكر أن القدر يحتدم عليّ ولكن كيف تفسر هذا القدر, (فالنص) هو الأمر الحتمي الواقع لزاماً واجباراً علينا لكن كيف تفسر هذا هل بما تتواقف معهُ أم بما يخالفه أم بما يسايره، فلفظة يتشاكسان تبين قوة المحاججة بين الطرفين فالخطاب جاء هنا من خلال الاحتجاج اللفظي, فقد استعمل الشاعر الالفاظ الدالة على ذلك ليعود في البيت الثاني معتمداً على آلية جديدة في احتجاجه

ما قلت للنجم المعلق: دُلني

ما نمتُ كي اصطاد رؤيا في الكرى

نجد أن في هذا البيت نفي محض وهو متعلق ومرتبط ارتباطاً وثيقاً بما سبقه, أي إن تأويلي وتفسري كان من عندي وحدي لم يرد من فيلسوف أو معلم (ما قلت للنجم المعلق) ان يعلمني (دُلني) فنفى العلم والأمر أن يطلق عليه من جهة أعلى منه، وهي علمية محضة بـ(ما نمتُ) وبهذا يبين النفيين يريد أن يثبت الحجة والدليل والبرهان ويقنع المقابل أن هذا التأويل جاء من تلقاء نفسه ومن ذاته إثبات للنفس والذات بدلالة قوله (كي) التي تستخدم في الأساس للتعليل, فالشاعر يستخدم بعض الوسائل اللغوية التي تعد روابط حجاجية في النص ليثبت ويؤكد ويرسخ المعنى المطلوب فيذكر بعد ذلك

شجر من الحدس القديم هززته

حتى قبضتُ الماء حين تبخرا

يرجع الشاعر أن سبب هذا التأويل السابق هو اصوله وتاريخه وحضارته القديمة اعتمد في اعراق الأرض التي قبضت الماء أينما حل وأرتحل (اينما تمطري سيعود خراجك لي) فحاول إرجاع هذه الحضارة المتأصلة في ذاكرته

لا سر فانوس النبوءة قال لي

ماذا سيجري حين طالع ما جرى

إذ يحاول الشاعر من خلال النفي والاستفهام ان يثبت احتجاجه ويؤكد حقيقة وتاريخ أمة، فهو يشير للانتصار والانتشار للأمة الإسلامية وقد حاول من خلال كل هذه الحجج التي يقدمها أن يؤكد ان هذه الأمة مدعاة للفخر فيقول

في الموسم الآتي سيأكل آدمُ
تفاحتين وذنبه لن يغفرا
.....
وسيعبر الطوفان من أوطاننا

من يقتع الطوفان ألا يعبرا

ستقول ألسنة الذباب قصيدةً

وسيرتقي ذئب الجبال المنبرا

فوضى وتبنىء كل من مرت بهم

سيعود سيف القرمطي ليثأرا

في الموسم الآتي كل من مرت بهم

ستزيد أشجار الضباب تجذراً[٢٥]

نرى أن القصيدة قائمة على حرف السين الذي يدل على المستقبل، فهو يدمج الماضي بالمستقبل من خلال هذا الحرف وكأنه يريد أن يقول لنا أن هذا المستقبل مختلف جداً عن ماضيه, هذا المستقبل فيه محاولة اكبر من الأول (سيأكل آدم تفاحتين) فيه أن من هذه الحضارة لن يغفر ذنبه ولن تدارى سوءته, فيه الحضارة أكثر شجاعة وأشد قوة وتماسكاً في كل شيء متمسكة بالمحاولة ومنجزة لشي أكبر من المحاولة

ستقول ألسنة الذباب قصيدة

وسيرتقي ذئب الجبال المنبرا

فهو يعبر عن احتجاجه(ستقول) لكن من التي ستقول إنها (ألسنة الذباب) وماذا ستقول(قصيدة) إذ يستهجن الشاعر كثرة المتملقين إذ شبههم بـ(الذباب) أنهم شعراء الطواغيت، فالشاعر يحتج بالقول حاضراً ومستقبلاً وقد جاء احتجاجه من خلال حرف السين فضلاً

عن(القول) وانه يرى المستقبل المظلم بما سيؤول اليه حال المنابر (وسيرتقي ذئب الجبال المنبر) فهو يندد بكل زيف وينقم على رجال تجارة الدين وكل ذلك سببه (فوضى وتنبئ كل من مرت بهم) فالاحتجاج على هذه الاحوال وعلى الفوضى المتجذرة في النفوس الخبيثة سرعان ما تنشر وتنتقل

في الموسم الآتي ستشتبك الرؤى

ستزيد اشجار الضباب تجذراً

إذ يلوح الشاعر أن الغموض هو الأتي بلغة تؤولية دقيقة (تشتبك الرؤى) ملفوفة بالغموض والظلام حد أنها تصل الى الاصطدام، فرؤية الأول تصطدم برؤية الثاني كل ذلك سببه تؤويل الاحداث عن قول العرافَ (النص للعرافَ والتأويل لي) تزيد اشجار الضباب كناية عن المجهول الغامض، فالشاعر يحاول من خلال الادوات البلاغية فضلاً عن الوسائل اللغوية ان يشكل لنا رؤيته للمستقبل، فهو محتج على ما آل اليه الوضع، فالضباب يمنع الرؤية وهو هواء مكيف اذا تشكل على شكل اشجار راسية متجذرة في الأرض وهذا بحد ذاته مدعاة للهلع والخوف من الأتي المسور بالغموض والخفاء فيقول بهذا الصدد

ستجيُ سبع مرةً ... فالتحزنوا

من حكمة الوجع المصابر سُكراً

سبع عجاف فاضبطوا انفاسكم

كم بعدها التاريخ يرجع أخضرا

يشير الشاعر هنا الى قصة قرآنية وهي قصة النبي يوسف (عليه السلام) فترة زمنية وجيزة منضبطة وحكيمة ثم يعود ذلك التاريخ الأخضر، فالشاعر هنا يحتج بالتاريخ من خلال هذه القصة القرآنية يحتج على كل من يحاول أن يطمس هذا التاريخ لنرى الانبثاق والانفراج من

أشتم رائحة القميص وطالما هطل القميص على العيون وبشرا

خلال قوله

بشارة الخير البعيدة على الجهال القريبة ممن اقترب من مشكاة النبوة، فها هو الشاعر يتقمص قضية نبي كان مؤمنا باللقيا والاشتمال (يعقوب عليه السلام) فقد شم رائحة يوسف قبل

أن يراه، فقد أراد الشاعر ان يؤكد باحتجاجه على الظلم وأنه برؤيته هذه سيتحقق الافضل، فهو ومن خلال توظيفه لجملة من الادوات اللغوية والتقنيات فضلاً عن آلاليات البلاغية قدم احتجاجه بطريقة متسلسلة منتقلاً بابياته من خلال حرف السين الدال على المستقبل ومن خلال تضمينه لقصة قرآنية، فاستطاع أن يؤكد قضيته.

الخاتمة

- اتخذ الشعراء موضوعاً لشعرهم من خلال الاحتجاج الذي تمثل عبر الفاظ دلالية دالة على ذلك، فضلاً عن اتسام أغلب القصائد عينة الدراسة على النغمة الايقاعية الصاخبة وهذا يعزز روح الحجاج فنجد من الشعراء من كان محتجاً على واقع ومنهم من كان محتجاً على ذاته.
- اختلاف الآليات المستخدمة في الخطاب الشعري مما كان له الأثر الفعال في ابراز المعنى المراد تسليط الضوء عليه.
- النماذج المختارة كانت لشعراء مختلفين في البيئة وكان الغرض من ذلك ايضاح اختلاف الثورة الحجاجية عند كل من الشعراء، فضلاً عن اختلاف التقنيات التي استعملها الشعراء تأثراً بذلك.

المصادر والمراجع

١. الاعمال الشعرية الكاملة، محمود درويش، دار الجمل للنشر والتوزويع، ٢٠١٧م.
٢. الرسم على عباءة الريح، جاسم محمد جاسم، دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع, ١٥, ٢٠٢٢م.
٣. مرثية النار الاولى، محمد عبد الباري، صوفيا الكويت، ط٤، ٢٠٢١م.
٤. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا ٢٠٠٤م.
٥. التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق-سوريا ٢٠٠٨م.
٦. الحجاج في البلاغة المعاصرة- بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الامين، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ٢٠٠٨م.
٧. الحجاج في الشعر العربي من الجاهلي القرن الثاني للهجرة بنيته واساليبه، سامية الازديري، دار الكتب الحديث، ط١، اربد-عمان ٢٠٠٨م.
٨. الحجاج مفهومه ومجالاته. دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، اشرف حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، اربد، الاردن ٢٠١٠م.

٩. المعجم الفلسفي، ابراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، مصر ١٩٨٣م.

الدوريات

١٠. الحجاج والاستدلال التداولي آليات اشتغاله، رضوان الرقبي، مجلة عالم الفكر، العدد٢، المجلد ٤٠، اكتوبر ٢٠١١م.
١١. مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، عباس حشاني، مجلة المخبر، العدد التاسع، ٢٠١٣م.

الرسائل الجامعية

١٢. آليات الاقناع في الخطاب القرآني (سورة الشعراء انموذجا) دراسة حجاجية، رسالة ماجستير، مقدمة الى كلية الآداب، جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠١٢.
١٣. الحجاج في رسائل الشيخ أحمد التيجاني. دراسة في وسال الاقناع، أمينة تيجاني، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب واللغات، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر، ٢٠١٥.

الهوامش

١ المعجم الفلسفي، ابراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية, الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية, القاهرة, مصر, ١٩٨٣م ص٦٧ .
٢ ينظر: آليات الإقناع في الخطاب القرآني (سورة الشعراء أنموذجاً) نقلاً عن كتاب دروس في الحجاج الفلسفي, ابو الزهراء:٥
٣ مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته, عباس حثاني, مجلة المخبر_ العدد التاسع ٢٠١٣, ص٢٧٤_ ٢٧٥.
٤ الحجاج والاستدلال الحجاجي(عناصر استقصاء نظري, حبيب أعراب, عالم الفكر, العدد(١) ٢٠٠١م, ص١٠٠ .
٥ ينظر: الحجاج في رسائل الشيخ احمد التيجاني, دراسة في وسائل الاقناع, رسالة ماجستير أمينة تجاني:٦٢.
٦ التداولية والحجاج, صابر الحباشة: ٦٩ .
٧ الحجاج مفهومه ومجالاته. دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة, إشراف حافظ اسماعيلي علوي: ١\٥٨
٨ ينظر: مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، عباس حشائي, مجلة الخبرة العدد التاسع ٢٠١٣: ٢٧٥.
٩ ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: ٢٦.٢٧, نقلاً عن: النص الحجاجي, بنورارنو: ١٧.

١٠ ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٤٥٦
١١ المجموعة الكاملة، محمود درويش: ٤٠٥.
١٢ الرسم على عباءة الريس، جاسم محمد جاسم: ١٤.
١٣ م.ن: ١٤.
١٤ الرسم على عباءة الريح: ١٤.
١٥ م.ن: ١٤.
١٦ الرسم على عباءة الريح: ١٥.
١٧ م.ن: ١٥.
١٨ م.ن: ١٦.
١٩ م.ن: ١٦.
٢٠ ينظر في اللسانيات التداولية_ مقارنة بين التداولية والشعر، خليفة بو جادي: ١٦٤
٢١ الرسم على عباءة الريح: ١٨.
٢٢ م.ن: ٢٨.
٢٣ م.ن: ١٩.
٢٤ مرثية النار الأولى، محمد عبد الباري: ١٤.
٢٥ مرثية النار الأولى: ١٤.